

نخيل نيوز

(سيرة مرحاض: مدخل إلى قاع المدينة) كتاب جديد للباحثة التونسية كوثر دوزي



نخيل نيوز / خاص

أعلنت الكاتبة والشاعرة التونسية كوثر دوزي عن صدور كتابها الجديد (سيرة مرحاض: مدخل إلى قاع المدينة) عن منشورات الجمل في بيروت، في 488 صفحة، ضمن مشروع بحثي يسلط الضوء على سوسيولوجيا وأنثروبولوجيا المراحيض العمومية في تونس. يتناول الكتاب المراحيض العمومية بوصفها فضاءات اجتماعية تكشف بنية المجتمع، وتعكس التراتبية الطبقية والجندرية، وآليات الضبط الاجتماعي وممارسة السلطة داخل الفضاء العام. ومن خلال تحليل هذه الأمكنة التي تُنظَّم فيها عمليات الجسد، يبرز العمل كيف تُستخدم البنية التحتية في إقصاء بعض الفئات الاجتماعية وتعزيز الامتيازات، بما يجعل المرحاض مدخلاً لفهم ديناميكيات التمييز والتحويلات الحضرية في المدينة.

نخيل نيوز

ويعتمد الكتاب على المنهج الإثنوغرافي، إذ تنخرط المؤلفة في دراسة ميدانية للمراحض العمومية في تونس، متبّعةً كيفية تنظيمها وإدارتها والتحوّلات التي شهدتها، ومدى تأثيرها في تقييد أو تمكين الأفراد من استخدامها. يفتتح الكتاب بفصل أول يتناول انثروبولوجيا المرحاض في المدينة العربية الإسلامية، متتبعا تاريخيا وثقافيا المسار الذي أوصلنا إلى شكل المرحاض كما نعرفه اليوم. يتضمن الكتاب العديد من القضايا التي تمس مدينته وحياته اليومية، وتونس تقدم فيه كنموذج ميداني لما هو مشترك اجتماعيا وثقافيا. وبشكل عام يسعى الكتاب إلى رسم سيرة من خلال مقارنة جوانب متعددة، تمتد من الانثروبولوجي إلى اللغوي لموضوع المرحاض بالفضاء العام من الاستخدامات والممارسات الاجتماعية محاولة بذلك تفكيك السلط المرتبطة بالمكان. كما يناقش الكتاب مفاهيم النظافة والقدارة، والتراتبية الاقتصادية والاجتماعية، والجنر، بوصفها عناصر محورية في تشكيل الفضاء العام وإعادة إنتاج علاقات القوة داخله. ويرى الكتاب أن حظر الحديث عن السيوروات الجسدية – مثل التبول والتبرّز – وإقصاءها من التداول العلني، أسهم في تكريس تصور يعتبرها أفعالاً "مدنّسة" أو "غير لائقة" في المجال العام. ومن هنا، جرى إنشاء المرحاض كمكان اجتماعي وثقافي يضبط هذه السيوروات وينظمها بهدف نفيها من المشهد العام، في مسار تحوّل من الخلاء إلى المكان المخصص، بالتوازي مع تحولات ثقافية واجتماعية عميقة. وتستحضر دوزي في أحد مقاطع الكتاب صوت الكاتب المغربي محمد شكري، في إشارة دالة إلى دهشة اكتشاف المشترك الإنساني في ما يتعلق بالجسد، معتبرةً أن إقصاء هذه الأفعال من المجال العام هو ما يصنع "الصدمة" عند التذكير بأن الجميع سواسية في وظائفهم الجسدية. ويخلص العمل إلى أن المرحاض، بما يحمله من خصائص مادية ورمزية، يشكّل موضوعاً مثاليّاً لدراسة طرائق التبادل والتواصل داخل المجتمع، وكشف علاقات القوة وأشكال التهميش والإقصاء من الفضاء العام، بل ومن المجتمع لاحقاً. يُذكر أن كوثر دوزي باحثة دكتوراه في جامعة لياج ببلجيكا وشاعرة تونسية عُرُفت بنشاطها الأكاديمي في مجالات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وقدمت مداخلات بحثية في ندوات دولية، من بينها ورقة بعنوان "أجساد ناشطات المنظمة النسوية الدولية فيمن في الثورات العربية: ثورة الجسد أو إعادة تثبيت النمط"، في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. كما صدر لها عدد من الأعمال الشعرية، من بينها مجموعة "لا أحد يعبر من هناك".

هذا الكتاب

«لقد عشت في هذه المدينة سنوات عدّة قبل عملي الميداني، وهذا ما جعل البداية صعبة، وغير صعبة في الآن نفسه؛ إذ كنت «أعرف» المراحيض هذه المدينة، وهذا أمر لم أسقطه من كتابتي في العمل الميداني، بل كان حاضرًا - وتعمّدت ذلك - بأشكال مختلفة. غير أنّ معرفة «المراحيض» بوصف المرء مقيمًا في مدينة، غير أن يكون باحثًا في هذا الموضوع؛ حيث كنت الباحثة التي تريد أن تتبّول كثيرًا خلال العمل الميداني؛ إذ إنّ الموضوع أيضًا فرض أن يكون «الأنثى» في وضعيات مختلفة، احتمالات كثيرة يمثل أشخاصًا كثيرين، مختلفين موجودين في الفضاء العام. لقد كنت طوال فترة البحث في تنقل دائم في المدينة، وفي فضاءها العام، محاولة من خلال ذلك رسم سيناريوات لاحتمالات مختلفة لحضور الأشخاص في الفضاء العام. أمشي في شارع، أجلس في مقهى، أدخل مرحاضًا، أجلس في مطعم وأدخل مرحاضه، وأحيانًا كنت أدخل مرحاض مقهى فحسب، وأزور مطعمًا من دون أن أطلب شيئًا، لأنّ ذلك مرتبط بإحدى الإمكانيات أيضًا، والحلول التي أوجدها الأشخاص من أجل الحضور في الفضاء العام...»

كوثر دوزي

مدخل إلى قاع المدينة
سيرة مرحاض



الغلاف : سكتة صلبون



www.palms-news.com

كوثر دوزي

سيرة مرحاض

مدخل إلى قاع المدينة



دراسة المراحيض بالفضاء العام في مدينة تونس

منشورات الجمل